التنقيب في تل بري «كحت» بالجزيرة

١٩٨٠ - ١٩٨٢

باولو بيكوريللا

تعريب وتلخيص عبدالرزاق زقزوق

ان تل بري واحد من التلال المميزة في المنطقة المدعوة (مثلث الخابور) شمال الجزيرة ، يقع على الضفة الشرقية لنهر جغجغ ، ويبلغ ارتفاعه ٣٢ / اثنين وثلاثين مترا ، ان الموقع ، بالاضافة الى المدينة السفلية التي تبلغ مساحتها سبعة هكتارات ، يشغل مستوطنة تقدر مساحتها بثمانية وعشرين هكتارا .

وكان البروفسور جورج دوسان قد أثبت في عام ١٩٦١ م ان هذا الموقع هو مدينة كحت ، احدى مدن مملكة الميتانيين الهامة ، كما عثر على كتابة تخص الملك الآشوري — توكولتي — نينورتا الثاني (٨٩٠ — ٨٨٤) الذي بنى له قصرا هناك .

كانت كحت في عصر ماري محتلة من قبل جيش زمري ليم ، ولقد أمدنا أحد رقم سجلات ماري بمقاييس معيد ، هو معبد اله العاصفة على الارجح، وكان هذا المعبد موجودا في العصر الميتاني ، حيث أودع نسخة من معاهدة دولية بين شوبيلوليوما ملك الحثيين وبين ساتيوازا ملك الميتانيين ، يضاف الى هذا كله ان اسم كحت كان قد ذكر في العصر الآشوري الوسيط بين أسماء المدن السبعة التي احتلها حدد نيرازي الاول (١٣٠٤ — ١٢٧٣) .

كان المشروع الحوري المقدم في عام ١٩٧٢ من قبل مارجو سالفيني (Marjo Salvini) . بالتعاون مع جامعة برلين ، مكرسا للنصوص الحورية المنتشرة في سلسلة من المواقع الاثرية الواقعة في محيط مملكة الحوريين ، مثل ألالاخ (Alalakh) و نوزي (Nuzi) ، أو في سجلات مدن أخرى أجنبية مثل سجلات حاتوشا (Hattusa) .

ولقد كان واضحا ان مشروعا كهذا المشروع الاثري سيكون بالغ الاهمية ، ليس فقط من أجل الكشف عن النصوص الكتابية لواحدة من أكبر مدن مملكة الحوريين خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ، بل في الحصول أيضا ، على صورة واضحة لتركيب أثري لازال غير معروف بشكل فعلي .

وفي الحقيقة فان الاسبار التي نفذت في المنطقة ، وخصوصا في تل الفخارية ، (حيث تقع عاصمة الميتانيين واشوغاني) ، قد فشلت في اعطاء برهان كامل عن تطور الحضارة الحورية ذات الاهمية البالغة بين حضارات الشرق الادنى القديم .

لقد كان الهدف الرئيسي من حفريات المواسم الثلاثة في أعوام ١٩٨٠ — ١٩٨٢، تبيان الاضطراد

الحضاري في هذا الموقع • لـذا فان خمسـة أسبار قد أحدثت في سفوح التل ، فضلا عـن منطقة تنقيب رئيسية في قمته وذلك بعد أن تم ازالة المقيرة الحديثة فيه •

يبدأ تاريخ الموقع في نهاية عصر اوروك أو عصر جمدة نصر ولقـد أثبتت بعض القطـع الفخارية وبشكل خاص ختمان اسطوانيان ، وجود هذا العصر في جوف التل • بل أن بعض الكسر الفخارية الملونة تشير الى وجود عصر حلف •

لقد أظهرت المنطقة (B)الواقعة في السفوح الغربية ، والتي يرأسهـا الدكتور رفائيـل بسكيونة ، سلسلة جميلة مـن المباني المدنيه ، على عمق ، ثلاثة عشر مترا ،ذات اسلوب يرقى للفترتين (III , II) ، من عصـر السلالات المبكر ، ويمكننا طبقا للسويات السكنية ولنوع الفخار المكتشف أن نختار ثلاث طبقات حضارية تمثل تسلسلا لايشوبه اقتطاع ، اولى هـذه الطبقات طبقة نينوى الخامسة (٥) ، حيـث أمكن تجميع أوان طبخ فخارية وأوان ذات جدران ثخينة وخشنة فضلا عن أوان طينتهـا رقيقة ذات شوائب رملية ناعمة •

أما في الطبقة الثانية فقد تم العثور على عدد كبير من الاقسام السفلية لاقداح طويلة ذات حزوز افقية •

وكانت أهم المراجـع والمصادر الناجعـة والمفيدة لنا تلك اللقى المكتشفة في تل خويرة ، وفي تل براك الواقع على بعد عشرة كيلو مترات جنوبا •

وتم العثور في قاع السبر على نوع مـن الاسوار الطينية من ذاك النوع الذي يرقى الى عصر السلالات المبكـر • فقررنا أن نقـوم بتوضيح هذه المكتشفات في الموسم القادم ، وأن نصل الى التربة البكر التي لاتبعد كثيرا عن المستوى الذي توصلنا اليه في موسم ١٩٨٢ كما وضعنا في حسابنا أن نبدأ في المستقبـل القريب ، أعمال تنقيب واسعة وجوهرية في تلك المنطقة بغية الحصول على أدلة أوسع عن الاساليب المعمارية ، كما قررنا أن نبدأ من نقطة أعلى كي نحصل على صورة أكثر وضوحا لنهاية هذه الفترة الهامة • وفي الواقع فان نهاية الالف الثالثـة لازالت مفقودة لدينا ، وانه لمن المهم جدا أن نتأكد فيما لو كانت طبقات الارض منتظمة ، أو أن الاستيطان قد أدى الى احداث ثلم فيها •

ان فترة الالف الثاني لازالت غير موجودة من الناحية المعمارية • أما المادة الفخارية،الكثيرة جدا على السطح وخصوصا على السفح الجنوبي الشرقي ، فقد تم الكشف عنها في العملية رقم (٣) ضمن طبقات مخربة في أسفل التل • كما تم جمع كسر فخارية في المنطقة (B) ، ضمن طبقة منهارة من قمته • كذلك حصلنا على مواد ولقى اخرى من العملية رقم (٤) ، في طرف المدينة السفلى • من هذه الومضات نستطيع أن نستشف بأن جوف التل كان مشغولا ، على الغالب ، بمعبد اله العاصفة ومبان اخرى ترقى لنهاية القرن التاسع عشر ومابعده ، كما نستشف وجود مدينة سفلية ذات تحصينات دفاعيـة ، بقاياها ممثلة بالنتوءات الطينية المحيطة بها على شكل هلال •

ان الالف الاول ممثل حاليا باعداد كبيرة مـن الحجارة البيضـاء والسوداء المستخدمة كشواهد قبور في المقبرة الحديثة ، وكانت تلك البلاطة التي تحمل كتابة توكولتي نينورتا واحدة منها ، وهي محفوظة حاليا بمتحف حلب ، وقد تم العثور على هذه الحجارة من قبل الفلاحين

في أعلى طبقات التل أثناء حفرهم قبور موتاهم ، ومن المحتمل ان المبنى الملكي قد خرب تخريبا كاملا وان مواد بنائه قد استخدمت ثانية خلال عصور الاستيطان الاخيرة .

اننا لانملك أي دليل خطي عن العصر الآشوري الحديث ومابعده ، ماعدا ذكر اسم كحت في احد القوائم التي ترقى لفترة صارغون، وايا كان الامر فإن التل قد اعيد استيطانه في بعض المساحات الفعلية خلال القرون الاولى من عصرنا هذا ، اذ من الواضح أن تل بري كان في العصر الروماني همزة وصل بين نصيبين وسيرسيزيوم (دير الزور) ، كما كان مركزا فعالا للمراقبة .

ولقد تم العثور في المناطق (A , C , E) على سلسلة من المباني بعضها هام كتلك المباني المكتشفة في السويتين (١٥ — ٢١) بالمنطقة (A) ، وقد تمكنا من ارجاعها بشكل مبدئي الى القرنين الثاني والثالث الميلاديين . ان أهم أنواع الفخار المكتشف هو النوع المعروف (بالسجلاتا الرومانية الشرقية) ، فضلا عن الفخار البارثي المزجج ، كما تم العثور على عدد كبير من النقود الرومانية المضروبة في أماكن ضرب شرقية ، كذلك امدتنا الحفرية بعدد من الابازيم البرونزية (من بينها ابزيم عليه زخرفة تمثل هرقلا يصارع اسدا) .فضلا عن بعض الخرز والدلايات المصنوعة من حجر الستياتيت ، وكل هذه اللقى اشارات اكيدة لحالة اقتصادية لم تكن متدنية قطعيا .

ان العصر الساساني لازال غير موجود ، فالكسر الفخارية ذات الزخارف المختومة تثبت وجود استيطان بشري في تلك الفترة ، الا ان النشاط العمراني في العصر الاسلامي قد أزال كل برهان على ذلك . ومن المرجح ، (وغير المؤكد بعد) ، ان سورا موجودا بشكل واقعي ذا دعامة وجزء محروق ، ويحيط بكامل التل حتى ثلثيه . يرقى الى الفترة الساسانية .

ان العصر الاسلامي هو آخر العصور في تل بري ، ولقد كانت قمة التل ممهدة خلال الفترة الواقعة بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر كما هو واضح في المنطقة (A) . ولقد كشفت لنا المنطقة (F) ، (٧٠ × ١٥ / م) ، عن طبقتين رئيسيتين ، تتميز الاخيرة منهما بجدران واهية وبفخار معمول باليد ذي زخارف محزوزة غاية في الاتقان يبدو أنه من صناعة محلية ، ومن الملاحظ أن الخزف المزجج مازال معروفا الا أنه قد تغير بشكل سيء .

ويمكننا من خلال الخزف ، ومن ضمنه ذاك النوع المعروف بخزف الرقة ، ان نحدد تاريخ المستوطنة الاسلامية في الفترة الواقعة مابين القرنين (١٢ — ١٤ / م) ، وهي الفترة التي كانت تعمها الاضطرابات بسبب غزوات المغول ونشاطهم في شمال سورية .

ان مشروع تل بري مشروع طويل الامد واذا كانت نقطة البداية تدور حول مشكلة الالف الثاني من الناحيتين المعمارية والكتابية ، فان العديد من الدراسات والابحاث الاخرى قد بدأت بالنمو والظهور . والى جانب الوجود الروماني والاسلامي في تل بري ، فان من المهم جدا دراسة حالة قرية خلال الالف الثالثة غير بعيدة عن مدينة واسعة كتل براك ، وفي الحقيقة فان المقارنات القياسية والاصولية ومقارنات طبقات الارض في مركز رئيسي وفي قرى تابعة له لم تجرب بعد ، لافي سورية ولا في غيرها من مناطق الشرق الادنى ، ولسوف يمدنا

ذلك بأساس علمي هام لابحاث اخرى تتعلق يعلم الاجناس ذات أهمية قصوى من أجل فهمنا للتركيب الاجتماعي في المنطقة السورية — الرافدية .

ان العلماء الايطاليين والعلماء الآخرين التابعين لجامعات وأكاديميات أجنبية يقومون بمواصلة البحث والاستقصاء في سبيل الحصول على أوسع المعلومات من كل مربع في هذه الحفرية يضاف الى ذلك أن أعمال التسجيل لكل اللقى الاثرية تجري بواسطة الكومبيوتر منذ بداية الموسم الاول . واننا ليحدونا الامل أن تتمكن في القريب العاجل من تطوير هذا العمل المتشعب الاتجاهات بغية الوصول الى بحث كامل عن مدينة كحت وماسبقها ومالحقها من فروع .

وفي ختام تقريرنا هذا ، لايسعنا الا أن نتوجه بالشكر الخالص للمسؤولين السوريين وفي مقدمتهم الدكتور عفيف البهنسي المدير العام للآثار والمتاحف ، والدكتور عدنان البني مدير التنقيب ، لسماحهم لنا بالقيام بمسح أثري خلال عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٩ ، ومن ثم بأعمال التنقيب في تل بري .

لقد كان لمساعدتهما الاثر الحميد على عملنا وعلى النتائج العلمية التي جنيناها .